الإجراءات الأمنية للخلافة العباسية
لتامين طريق العاصمة - مكة المكرمة ١٣٢ – ٣٣٤ هـ

الأستاذ الدكتور
نزار عزيز حبيب الخاقاني
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الإجراءات الأمنية للخلافة العباسية

لتامين طريق العاصمة - مكة المكرمة ١٣٢ – ٣٣٤ هـ

الأستاذ الدكتور

نزار عزيز حبيب الخاقاني

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

تناول البحث أهتمام الأمم والحكومات بالطرق لتقل الأخبار وتأمين التجارة ، ومنها طريق العاصمة أثناء العصر العباسي (الكوفة – بغداد – سامراء) إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، عبر بناء المنازل على محطات الطريق وتحديد المسافات بوضع الأميال وتوفير خدمات المياه عن طريق حفر الآبار وبرك المياه فضلاً عن تعين المشرف أو متولي المنازل ، وأثناء فقدان الأمن على الطريق ، عُين والي الطريق ومهمته حفظ الأمن والأستقرار من قطاع الطرق والعابثين من القبائل المتمردة ضد الخلافة العباسية ، فضلاً عن تسيير الحملات العسكرية التي ترافق ركب الحجيج أثناء موسم الحج .

تأتي أهمية الطرق والأهتمام بها من قبل الحكومات والأمم على مر العصور بفعل الخدمات التي تقدمها ، وتأتي في مقدمتها خدمات البريد في نقل الرسائل والإخبار ، فعلى سبيل المثال - لا الحصر - أشار البعض إلى ذكر الرسائل المرسلة في تاريخ العراق القديم في مدينة لكش في حدود ٢٨٠٠ ق . م [١] . فضلاً عن انتشار اللغة الأكدية في مدن الشرق الأدنى القديم (مصر ، الشام ، العراق) التي أشارت إلى ذلك الرسائل الملكية الرسمية التي عثر عليها في تل العمارنة ، وقد اكتسبت هذه الرسائل شهرة واسعة لتبادلها بين حكام آشور وبابل وملوك الممالك القديمة في الشرق الأدنى القديم [٢] .

وفي عهد الملك حمورابي ١٧٢٨-١٦٨٩ ق.م ربط أجزاء البلاد بطرق ذات محطات رئيسة لنقل الرسائل وإيصال أوامر الملك إلى مناطق البلاد التي كانت خاضعة لمملكته [٣] .

ويستدل من الاهتمام بالطرق لإيصال الإخبار وربط العاصمة بالولايات التابعة لها ، ما عثر في العهد الآشوري الوسيط من رسائل متبادلة في العواصم الملكية القديمة ، إذ قدر ما يزيد على الفي رسالة كانت مرسلة من العاصمة إلى مقاطعات الإمبراطورية . وهذا يعطي مؤشراً ايجابياً على وجود نظام طرق ومواصلات ذات كفاءة عالية يسهل الاتصال بالعاصمة .

وما يعزز ذلك وجود موظف يدعى (مارى شبرى) مهمته السفر في الطرق الملكية التي وصفت بنظافتها واحتوائها على محطات بريدية ، تشرف عليها حراسة من الحكومة المركزية ، فضلاً عن تجاوز الصعوبات التي تحدث في الطرقات أثناء تغيرات المناخ او العقبات التي تنشا من طوبوغرافية الأرض[٤].

أما في شبه الجزيرة العربية فأهتم العرب بالطرق والمواصلات منذ القدم وخير دليل على ذلك الصلات التجارية التي ترتبط بها مكة المكرمة بحكم موقعها الجغرافي مع بلاد الشام واليمن ورحلاتها التجارية التي أشار إليها القران الكريم بقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [٥].

فضلاً عن التعامل التجاري بين دول غرب شبه الجزيرة (الدولة المعينية – الدولة السبئية – والدولة الحميرية) مع الفينيقين والأنباط والرومان عبر طرق ممتدة من جنوب شبه الجزيرة الى بلاد الشام[٦] .

وبفعل التعامل التجاري ومعرفة العرب بالطرق التي ترتبط بها شبه الجزيرة العربية مع بقية الأقاليم جعل العرب المسلمين وخاصة قادة الجيوش على معرفة ودراية بالطرق التي يسلكونها أثناء قيادتهم لجيوشهم نحو تحرير العراق وبلاد الشام ومصر وأفريقيا مما سهل تفوقهم العسكري في نشر الدين الإسلامي [٧] .

وزاد الأهتمام بالطرق لتامين حركة تنقلات الجيش من العاصمة (المدينة المنورة) إلى بلاد الشام والعراق واليمن ومصر فرُبطت العاصمة بطرق رئيسة – وان كانت غير ثابتة المعالم بفعل مرورها بأرض صحراوية ، ويرتبط تحديدها بوفرة المياه من الآبار والمصانع ❖ [٨] . – لتبليغ الأوامر الإدارية العسكرية والمالية إلى سائر المدن والأقاليم التابعة للدولة العربية الإسلامية .

وفي العصر الأموي ٤١هـ – ١٣٢ هـ اهتم بعض حكام الدولة الأموية بطريق الشام – الحجاز وبعض الطرق الأخرى وخاصة التي ترتبط ببيت المقدس ، ومما يستدل على اهتمامهم بالطرق قام معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠ ه) بتنظيم البريد وإقامة محطات استراحة وتوفير المياه في المنازل والحيوانات (الدواب) لنقل البريد من العاصمة وبالعكس [٩] .

وفي عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ ه) أمر بتحديد مسافات طريق الشام بيت المقدس إذ أمر بوضع حجارة على جانبي الطريق وفسر ذلك من قبل البعض انه ما يعرف بالأميال[١٠] .

أما في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ ه) نال طريق العاصمة الشام – الحجاز اهتماما إذ أمر بحفر الآبار وتوفير المياه لركب الحجيج الشامي ومن يسلك الطريق من القوافل التجارية [١١] .

ويرى البعض أن الوليد بن عبد الملك أول من بنى الأميال على الطرقات [١٢] . حيث أشار الطبري بقوله " ... كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنار وأعطى الناس [١٣] . وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه ويسال بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع [١٤] .

وسار عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي اهتمامه ببعض الطرق خاصة التي ترتبط بمدينة واسط وبعض المناطق الثغرية كمدينة قزوين فعمل على بناء المناظر❖❖ لغرض سرعة وصول الأخبار

ومراقبة تحركات العدو ، فعلى سبيل المثال يقال إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً وإذا كان ليلاً أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل إليهم [١٥] .

وفي عهد هشام بن عبد الملك(١٠٥ – ١٢٥ه) اهتم بطريق الشام – مكة وأمر بإنشاء القصور المزودة بالمياه عن طريق الآبار وبناء المخازن التي يتجمع فيها المياه للاستفادة منه أثناء الموسم[١٦] .

وفي العصر العباسي انتقلت العاصمة إلى الكوفة أولاً ثم بغداد عام ١٤٩ه ، وقد نال طريق الكوفة – الحجاز اهتمام السلطة العباسية فأصبح من الطرق الرئيسة التي ترتبط مع بقية مدن وأقاليم العالم الإسلامي ، وكانت ابرز اهتماماتهم بناء القصور في منازل الطريق ووضع العلامات الدالة على الطريق .

ففي عهد السفاح (١٣٢ – ١٣٦ هـ) اهتم بطريق الكوفة . فذكر الطبري في حوادث ١٣٤ه قوله " وفيها ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال " [١٧] . وبنى قصوراً على الطريق خارج بيت القادسية ❖ إلى زبالة ❖❖ [١٨] .

وفي حكم المهدي العباسي ١٥٨-١٦٩ هـ أُعيد ترميم القصور وتوسيعها التي بناها السفاح بين القادسية وزبالة وأمر بإنشاء القصور في بقية المنازل على الطريق وهذا ما عبر عنه ابن الأثير ضمن حوادث ١٦١ هـ بقوله " وفيها أمر المهدي ببناء القصور بطريق مكة ، أوسع من القصور التي بناها السفاح من القادسية الى زبالة " [١٩] . وأضاف المهدي خدمات أخرى تمثلت باتخاذ المصانع وتجديد الأميال وحفر الآبار والبرك وولى أمر ذلك إلى عامله يقطين بن موسى [٢٠] .

وساهمت زبيدة زوجة هارون ببناء عدد من القصور حملت اسمها على طريق بغداد - مكة في الشقوق ❖❖❖ وبطان ❖❖❖❖ والخزيمية ❖❖❖❖❖❖ [٢١] .

واهتم زوجها هارون ١٧٠-١٩٣ هـ بمنازل الطريق وزودها بالإبل والبغال وكان يهدف من ذلك خدمة البريد ووصول الأخبار [٢٢] .

وفي خلافة المأمون ١٩٨ – ٢١٨ هـ حددت مسافة طول الطريق بأكثر من ٧١٢ميلاً [٢٣]. ولهذا العمل أهميته لمعرفة المسافة المقطوعة والمتبقية من الطريق وصولاً إلى مكة او بالعكس .

والى جانب تحديد الطريق ووضع الأميال ، وضعت بعض العلامات الدالة ، التي ترشد مسالك الطريق وهي عبارة عن أعلام صغار وضعت في بعض تفرعات الطريق منها علم عند جبل (قرورى) [٢٤] . وثمانية أعلام في منزل معدن النقرة إذ يتفرع الطريق إلى المدينة المنورة والى البصرة [٢٥] . وعلمان عند تفرع طريق البعث عند أفيعية ❖[٢٦] . وعند جبل ام خرمان الذي يعدل عنه أهل البصرة قال الحربي " يوجد علم ومنظرة " [٢٧] . ووضع علم بعد موضع زبالة بأربعة أميال للمتوجه إلى مكة من بغداد ، حيث يتفرع طريق تسلكه القوافل في الفترات التي تقل فيها كمية المياه في منزل بطان والشقوق وعرف بعلم الخيزران زوجة المهدي إذ سلكت هذا الطريق في إحدى سنوات توجهها إلى مكة [٢٨]

اسباب الاهتمام بامن الطريق

١- يعد من الطرق الرئيسة في العالم الإسلامي يربط العاصمة بأقاليم مهمة رئيسة كالحرمين (مكة والمدينة)[٢٩] وبلاد الشام وأقاليم أخرى وغالباً ما يسلكه حكام بني العباس أثناء توجههم إلى مكة والمدينة .

٢- عناية بني العباس بالبريد لمعرفة ما يجري في المدن والولايات فعلى سبيل المثال في عهد أبي جعفر المنصور ١٣٦-١٥٨هـ كان ولاة البريد يكتبون له بسعر كل مأكول وكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم وما يعمل به الوالي وما يرد بيت المال من المال وكل حدث منها ، ارتفاع الأسعار وحدوث الكوارث . وكان المنصور العباسي يطلب من عماله أن يكتبوا إليه يومياً بسعر القمح والحبوب والأدم وبسعر كل مأكول لتلافي المجاعات[٣٠]. لذا اهتموا بالطريق وأمنه وسلامة من يرتاده بإنشاء المنازل وتوفير المياه ووضع العلامات الدالة .

٣- الحاكم العباسي باعتباره راعي للحرمين (مكة والمدينة) وحجيج بيت الله الحرام فقد حرص على معرفة أخبار الحج وسلامتهم أثناء المواسم فضلاً عن أن طريق العاصمة – مكة يسلكه ركب العراق وخراسان وما يتبعهما أدارياً [٣١]

٤- التغلب على العقبات التي يتعرض لها الحجيج وأهل الحرمين وإعطاء الأوامر إلى عمالهم لمعالجتها او الحد منها [٣٢] . فعلى سبيل المثال رؤية الهلال الذي يشكل خلافاً بين المسلمين فذكر الطبري ضمن عام ٢٤٧ هـ . شكوى محمد بن عبد الله بن طاهر وهو عائد مغموم إلى بغداد منصرف من مكة مما وقع من خلاف يوم النحر فأمر المتوكل بإنفاذ خريطة❖ صفراء الى أهل المواسم تضمن رؤية هلال ذو الحجة [٣٣] .

٥- انعدام الأمن والاستقرار في اغلب مناطق العالم الإسلامي أبان العصر العباسي الثاني ومنها طريق العاصمة – مكة في شبه الجزيرة العربية بسبب الاعتماد على الأتراك وإسقاط أسماء العرب من العطاء جعل الكثير من أبناء القبائل العربية في المدينة وبقية مدن شبه الجزيرة تعمل على مهاجمة الأسواق وقطع الطرق والاعتداء على التجار والحجيج أثناء الموسم ، فعلى سبيل المثال اسقط الواثق العباسي ٢٢٧-٢٣٢ هـ العطاء عن العرب مما جعل ارض شبه الجزيرة مسرحاً لتمرد قبائل بني سليم وبني نمير وضبة حتى أرسلت السلطة العباسية قادتها العسكريين ومنهم بغا الكبير الذي أعاد الأمن والاستقرار للعباسين [٣٤] . لكن ذلك لم ينهِ مظاهر الاحتجاج على السلطة العباسية التي تخلت عنهم وأهملتهم وأحلت محلهم العنصر الأجنبي (الأتراك) لذا أصبح الموسم فرصة أمام المتمردين من أبناء القبائل للسيطرة على طريق العاصمة – مكة للحصول على الأموال وقد سجلت لنا المصادر التاريخية الكثير من حوادث السلب والنهب والقتل بين صفوف ركب الحجيج في أثناء الموسم [٣٥] .

٦- كما أن الثورات التي حدثت ضد السلطة العباسية في بعض المدن وأقاليم في شبه الجزيرة العربية والسواد وسعت نطاق نفوذها ليشمل أيضاً السيطرة على طريق بغداد – مكة ومنها ثورة الزنج ٢٥٤ – ٢٧٠ هـ حيث شملت رقعة جغرافية لمدن وأقاليم مجاورة إلى البصرة . ووصل زحف إلى مشارف مدينة بغداد [٣٦] . فقطعوا طريق البصرة – مكة وسيطروا على أجزاء من طريق بغداد - مكة مما اضطر المعتمد العباسي ٢٥٦-٢٧٩هـ أن عقد لأخيه أبي طلحة الموفق سنة ٢٥٧ هـ الولاية على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن [٣٧].

فقد أشار الطبري ضمن أحداث ٢٦١ هـ بقوله " وفيها ضم عمل المشرق إلى أبي احمد وولى مسروراً البلخي الأهواز البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين في شعبان من هذه السنة ، وحرب قائد الزنج" [٣٨] . وفي موضع آخر أشار الطبري " ... وضم إليه مسرور البلخي وولاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن " [٣٩] .

وكان للقرامطة نصيبٌ في السيطرة على بعض منازل الطريق عام ٣١٢ هـ عندما دخلوا مدينة الكوفة فأرسل المقتدر العباسي مؤنس المظفر إليها ، وهرب القرامطة [٤٠]

وتهديدهم لطريق الكوفة - الحجاز كثيراً حيث أحدثوا القتل والسلب لقوافل الحجيج في أثناء الموسم في عدد من منازل الطريق ، وفي مكة أيضاً [٤١]

إزاء هذه الأسباب والإخطار التي بدأت تحدق في الطرقات بدأت السلطة العباسية تبحث عن حلول لغرض فرض الأمن والاستقرار خاصة على طريق العاصمة – مكة المكرمة ومن هذه الإجراءات استحداث بعض الوظائف الإدارية او تكليف بعض ولاة المدن الرئيسة بالإشراف على الطريق وتامين حمايته منها :-

اولاً: أحداث المواسم :ـ

وظيفة مساعدة لصاحب الشرطة ظهرت زمن هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥ هـ ويسمى من يتولى هذه الوظيفة بصاحب الأحداث أو والي الأحداث ومن مهامه حفظ الأمن خارج العاصمة . وفي أثناء الأزمات تجمع مع وظيفة الوالي [٤٢] .

وفي العصر العباسي كان صاحب الأحداث يساير القوافل . فعلى سبيل المثال ذكر الطبري ضمن حوادث عام ٢٤٣ هـ بقوله " حج جعفر بن دينار وهو والي الأحداث بالمواسم [٤٣] . وفي سنوات يجمع صاحب الأحداث الإشراف على الأحداث بالمواسم وولاية الطريق وهذا ما جمعه جعفر بن دينار خلال السنوات٢٤١و ٢٤٢ و ٢٤٣ هـ [٤٤] .

ثانياً: مشرف المنازل او متولي المنازل :ـ

وظيفته ترتيب المنازل وحفظ الأمن وحمايتها من العابثين وتقديم الخدمة للحكام العباسيين في أثناء توجههم إلى مكة والمدينة ، وتتمثل هذه الأعمال بالأمن أولاً وما يحتاجه من وسائل الراحة والمستلزمات

الضرورية في أثناء المرور او المكوث (المبيت ليلاً) في هذه المنازل وتوفير مياه الشرب وإعادة ترتيب المنازل بعد مغادرته ليكون جاهزاً لاستقبال الحاكم عند عودته او في أي وقت آخر (٤٥) .

ويرتبط عدد المشرفين على المنازل بالسنوات التي يخرج فيها الحاكم لأداء المناسك وخاصةً اذا ما خرج ماشياً كما فعل هارون في بعض سنوات حكمه (٤٦) ، فعلى سبيل المثال حج هارون في الكثير من سنوات حكمه وفي إحداها توجه ماشياً فذكر ابن قتيبة بقوله : " ... وقد حدد له عند كل مرحلة حداً ، وابتنى في كل مرحلة داراً ، وكانت المرحلة بريد قدرها اثنا عشر ميلاً ، ثم أمر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاوية ، ونصب له جدار بالستور وسملها باكسية الخز الرفيع الملون ، وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة ، قد أقام فيها الفرش الممهدة ، وقد أحاط بها الظلال الممدود بالرواقات الكثيفة ، فيها أنواع الطعام والشراب وألوان الفاكهة " (٤٧) .

وقد تتعدى وظيفة مشرف المنازل إلى القتال من اجل حفظ الأمن والاستقرار من العناصر الخارجة على القانون . فعلى سبيل المثال أشار ابن الأثير ضمن حوادث ٣٠٣ هـ بقوله " وفيها عاد الحجاج وقد لقوا من العطش والخوف شدة ، وخرج جماعة من العرب على أبي حامد ورقاء بن محمد المرتب على الثعلبية لحفظ الطريق ، فقاتلهم وظفر بهم وقتل جماعة منهم واسر الباقين وحملهم إلى بغداد فأمر المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشرطة ليحبسهم ، فثارت بهم العامة فقتلوهم والقوهم في دجلة " (٤٨) .

ثالثاً: والي الطريق

غالباً ما تسند مهمة طريق العاصمة مكة المكرمة إلى والي الكوفة أو والي الحرمين خاصة في الحقب التاريخية التي يندر فيها المشاكل على الطريق والمدن في شبه الجزيرة العربية بسب قوة مؤسسة الخلافة العباسية وهذا ما يلحظ طيلة عهد العصر العباسي الأول الذي شهد قيام أعمال عمرانية من حيث بناء القصور والمنازل وتوفير المياه وحماية المسافرين (٤٩) .

أما في العصر العباسي الثاني وبسبب إهمال العرب والإعتماد على الأتراك فأصبحت اغلب الولايات غير مستقرة انعكس ذلك على طريق العاصمة - مكة مما جعل السلطة العباسية تعمل على تعيين والي عُرف في المصادر المتوفرة لدينا بأسم – والي الطريق – ومن مهامه الرئيسة توفير الأمن والاستقرار في منازل الطريق وخاصة في أثناء موسم الحج . فعلى سبيل المثال رافق جعفر بن دينار ركب الحجيج إلى مكة في عام ٢٤١ هـ / ٢٤٢ هـ / ٢٤٣ هـ . وأشار إلى ذلك الطبري بقوله " حج جعفر بن دينار ❖ وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم " (٥٠) . واستمر جعفر بن دينار والياً على الطريق حتى عام ٢٤٤ هـ حيث أشار الطبري بقوله " وفيها عقد المتوكل لأبي الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار (٥١) .

وفي عهد المعتمد العباسي ٢٥٦ – ٢٧٩ ه اسند مهمة ولاية طريق بغداد – مكة إلى أخيه الموفق عندما عقد له بالولاية عام ٢٥٧ هـ على الكوفة وطريق الحرمين (٥٢). الذي كلف بدوره محمد بن مسرور البلخي

وكان يساعده أخاه علي بن مسرور [٥٣] . ويبدو أن محمد بن مسرور البلخي أناب عنه أخاه علي بن مسرور على ولاية الطريق بعد أن قتل من قبل أعراب بني أسد بطريق مكة فقد أشار الطبري إلى ذلك ضمن أحداث عام ٢٦٥ هـ بقوله " وفيها قتلت جماعة من أعراب بني أسد علي بن مسرور البلخي بطريق مكة قبل مصيره إلى المغيثة وكان ابو احمد ولي محمد بن مسرور البلخي طريق مكة فولى أخاه علي بن مسرور [٥٤] .

وفي خلافة المعتمد أيضاً عقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة أبان عام ٢٧١ هـ فاسند حماية الطريق ومرافقة الحجيج في أثناء الموسم إلى غلامه بدر الطائي الذي استطاع أن يوصل ركب الحجيج العراقي سالمين لكنه تعرض إلى مضايقة يوسف بن أبي الساج عند وصوله إلى مكة ودارت بينهما حرباً على أبواب المسجد الحرام تقدم من أولها يوسف يوسف واسر بدر الطائي الذي استنقذه جماعة من الجند وجموع الحجيج واسروا ابن أبي الساج وحمل أسيراً إلى بغداد [٥٥] .

وفي خلافة المقتدر العباسي أسندت ولاية الطريق إلى الوزير المصلح علي بن عيسى الجراح بأمر من الحاكم المقتدر وكلفه الإشراف بنفسه على الطريق لحماية ركب الحجيج وتامين سلامة سالكيه وان يقيم طريقاً يخترق بلاد بني سليم شمال مكة تسهيلاً لسفر الحجيج [٥٦] .

وأشار ابن الجوزي ت ٥٩٧ ه ضمن حوادث عام ٣٠٩ هـ بقوله " ... وخلع على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وقلد أعمال الحرب وطريق مكة " [٥٧] .

ويبدو أن والي الطريق أبي الهيجاء استمر حتى عام ٣١٢ هـ ثم تعرض إلى الأسر مع عدد من الحجيج فأشار ابن الأثير ضمن حوادث هذه السنة بقوله " ... وكان إلى أبي الهيجاء طريق الكوفة وكثير الحاج ، فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم واسروا أبا الهيجاء واحمد بن كشمير وتحرير واحمد بن بدر عم والدة المقتدر واخذ ابو طاهر حمال الحجاج جميعها وما أراد من الأمتعة [٥٨].

وفي خلافة الراضي العباسي ٣٢٢-٣٢٩ هـ عين لؤلؤ على طريق بغداد – مكة واستمر حتى عام ٣٢٩ هـ ثم تولى مكانه حاجب بجكم التركي [٥٩] .

الحملات العسكرية :ـ

ويبدو أن مهمة والي الطريق والحامية العسكرية التي كانت ترافق ركب الحجيج في أثناء الموسم للحفاظ على سلامة الركب من الاعتداءات وحفظ الأمن والاستقرار لم تجد نفعاً أمام تزايد الاعتداءات وقطع الطريق والقتل والسلب الذي تعرض له ركب طريق بغداد – مكة حيث سجلت المصادر التأريخية حوادث كثيرة في سنوات متعددة ما تعرض له ركب حجيج العراق ومن معهم عبر طريق بغداد – مكة المكرمة ، فعلى سبيل المثال أشار الطبري ضمن حوادث عام ٢٨٥ هـ بقوله " ... قطع صالح بن مدرك

الطائي في جماعة من طيء على الحجاج بالاجفر يوم الأربعاء لاثني عشر بقيت من المحرم ... فظفر الأعراب بالقافلة فأخذوا ما كان فيها من الأموال والتجارات واخذوا جماعة من النساء الحرائر والممالك ، وقيل ان الذي اخذوا من الناس بقيمة الفي الف دينار" (٦٠) .

وتكررت الاعتداءات وعدم الأمن والاستقرار على طريق بغداد - مكة في السنوات ٣١٢/٣١٧هـ(٦١) . واتجاه هذه الأحداث غيرت السلطة العباسية خططها الأمنية فعملت على إرسال حملات عسكرية لتأديب العابثين على هذا الطريق فعلى اثر حادثة عام ٢٨٥ هـ أمر المعتضد العباسي ٢٧٩-٢٨٩ هـ احد قادة الجيش أبا الأغر خليفة بن مبارك السلمي عام ٢٨٧ هـ لتأديب المعتدين على الحجيج فحارب زعيمهم صالح بن مدرك الطائي في معدن النقرة واستطاع أسره وقتل جماعة من أنصاره ومؤيديه الذين كانوا يهاجمون قوافل الطريق في كل سنة وعلى اثر ذلك خلع الخليفة المعتضد العباسي مع أبي الأغر السلمي بطوق من ذهب (٦٢) .

وفي خلافة المقتدر العباسي ٢٩٥ – ٣٢٠ ه استطاع الوزير المصلح علي بن عيسى توظيف خمسة آلاف فارس من قبائل بني أسد وخمسة آلاف فارس من قبائل بني شيبان تأخذ على عاتقها حماية الطريق بعد ملاحظة فقدان الأمن والاستقرار (٦٣) . وسيّر ابن الفرات في وزارته بعض قادة الجيش ليشد ازر والي الطريق أبي الهيجاء وزوده بمائة ألف دينار (٦٤) .

كما أولى الخليفة المقتدر العباسي اهتماماً بإرسال الجيش ونصرت الوالي في السنوات التي ينعدم فيها الأمن على الطريق . فأشار ابن الجوزي في حوادث عام ٣١٣ هـ بقوله " ... فخرج جعفر بن ورقاء وهو والي طريق مكة والكوفة فتقدم الحاج خوفاً من أبي طاهر الجنابي وكان معه ألف فارس من بني شيبان فلقي جعفر بن ورقاء بزبالة فناوشه قليلاً واضطرب الناس ورجعوا إلى الكوفة وتبع أبو طاهر القوافل ... فتقدم المقتدر إلى مؤنس بالخروج لمحاربة أبي طاهر...(٦٥)

ورافق مؤنس جيشه لحفظ الأمن وسلامة الحجيج في أثناء الموسم ٣١٩ هـ حيث عبر ابن الجوزي بقوله ".. قدم مؤنس يوم الخميس لعشر خلون من صفر بالحجاج من مكة سالمين وسُرَّ الناس بتمام الحج وانفتاح الطريق وتلقوه بأنواع الزينة وضربوا له القباب (٦٦) .

هوامش البحث

[١] - الأحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، بغداد ١٩٨٣ م ، ٢ /٢٠٥ ؛ ذنون ،عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ليبيا ٢٠١١ ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

٢ - باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٥٦ م ، ٢ / ٦٨-٧٠ .

٣ - الأحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ٢ /٢٠٠٥ ؛ ذنون ،عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ١٨٣.
٤ - ذنون ،عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ١٨٤ .
٥ - سورة قريش ، ا- ٤
٦ - ينظر على سبيل المثال ذنون ، عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ٢١١ .
٧ - ذنون ، عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ٢١١ .
٨ - الحربي ، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الحاسر ، الرياض ١٩٦٩ ، ص ٣٠٠ وما بعدها ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت – دار صادر ١٣٧٤ هـ - ١٣٧٦ هـ ، ٣٢٥/٤ ،١٦٢/٥ .
Saad . A.Al Rashid : Durb Zabad . The pilgrim Road from kufa to Mecca Leeds 1977 p.I. 9 121 -122
153 ؛ حبيب ، نزار عزيز ، خدمات الحجيج في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤ هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، البصرة ١٩٩٠ ، ص ١١ وما بعدها.
❖ المصانع مصنع وهو ما يصنعه الإنسان من حفر في الأرض تتجمع فيها المياه لخزنها والاستفادة منها ينظر:- ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، بيروت ب.ت ، ٤٨٢/٢ مادة صنع .
٩ - ذنون ، عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ٢١١ .
١٠ - ذنون ، عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ٢١٣ .
١١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥/ ٤٩٥-٥٤٤ .
١٢ - القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١ / ١٣٦ .
١٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٤٤/٥ .
١٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٤٥/٥ .
❖❖ المناظر:- جمع منظرة وهي المرقبة وتعني الموضع المرتفع الذي يقع أعلى الجبل يشحن بالجند ليراقب العدو ينظر :- ابن منظور ، لسان العرب مادة نظر .
١٥ - ذنون ، عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ٢١٤ .
١٦ - ذنون ، عبد الواحد ، مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ، ٢١٥ .
١٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٦ / ٤٠٨ .
❖ القادسية من منازل الطريق بعد الكوفة بعد ١٥ ميل عامر بالسكان يكثر فيها البساتين وفيها سوق عمر أيام الموسم ينظر: ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١ ، ص ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ١٩٠٦ ، ص ١١٧ ؛ حبيب ، نزار عزيز ، خدمات الحجيج ، ص ١٩ .
زبالة : احدى منازل الطريق يلتقي عندها طريق اليمامة في الذهاب الى الكوفة عبارة عن خربة عامرة بها اسواق تنشط ايام الموسم وماؤها كثير من الآبار والبرك ينظر:- ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ويقال انها سميت بزبالة نسبة الى زبالة بنت مسعود امراة من العماليق ينظر: الحربي ، المناسك ، ص ٢٨٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار في اخبار الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيرزت ١٩٧٥ م ، ص ٢٨٤ .
١٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ٤٠٨/٦ .
١٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ٦٤٧/٦ .
٢٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ٦٤٧/٦ .

❖❖❖ الشقوق : منزل لقبائل بني سلامة من بني اسد ينظر:- الاصطخري ، الاقاليم ، بغداد ، د.ت ، ص ١٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢٥٦/٣ .

❖❖❖❖ بطان:- منزل تسكنه قبائل بني اسد على مسافة ٢٢ ميلاً من منزل الشقوق ينظر: الحربي ، المناسك ، ٢٨٨-٢٩٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٤٦٦/١ .

❖❖❖❖❖ الخزيمية ، تقع على مسافة ٣٢ ميلاً منزل الثعلبية تسكنها قبائل بني اسد ينظر:- الحربي ، المناسك ، ٣٠٠ .

٢١ - الحربي ، المناسك ،٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ .

٢٢ - سعداوي ، نظير حسان ، نظام البريد في الدولة الاسلامية ، مصر ١٩٥٣ ، ٥٩ .

٢٣ - البيروني ، تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن ، انقرة ١٩٦٢ ، ٢٤٥ ؛ سيد عبد المجيد بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ١٩ .

٢٤ - الحربي ، المناسك ، ٣٢٠ .

٢٥ - الحربي ،المناسك ، ٣٢٢ ؛ Saad . A.Al Rashid : Durb Zabady dah p. 148 ❖ افيعية :- من منازل طريق مكة تقع على مسافة ٢٧ ميلاً من معدن بني سليم ينظر : الحربي ، المناسك،٣٣٥ .

٢٦ - الحربي ، المناسك ، ٣٤٣ .

٢٧ - الحربي ، المناسك ، ٣٤٦ ؛ ينظر :- نزار عزيز ، خدمات الحج ، ص ٨٥ .

٢٨ - الحربي ، المناسك ، ٢٨٥-٢٨٦ .

٢٩ - عن حج الخلفاء ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٧/ ١٠٧ -١٩١ ، ١٩٤، ١٩٦ ، ٢٠٨ .

٣٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٧/ ٧٧ .

٣١ - حبيب ، نزار عزيز ، خدمات الحج ، ص ١٨ ومابعدها

٣٢ - الازرقي ، اخبار مكة ، ١ / ٢٩٩ .

❖ الخريطة عبارة عن وعاء من الادم او الديباج او الخزف يشرح على مافيه ويوضع في داخله كتب الولاة والعمال والدراهم التي ترد الى العاصمة ينظر: قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٥٢ ؛ الصابي ، يوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ١٩٦٤ م ، ص ١٢٧ .

٣٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٩٠/٧ .

٣٤ - عن تمردات القبائل ينظر:- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨/ ١١٤ – ١١٧ ، ١٢٦ – ١٣٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٧/ ٢٩٦ ، ٣٠١ -٣٠٢ . .

٣٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٥/٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٧/ ٢١١ ،٨/ ١٤٧ .

٣٦ - عن ثورة الزنج ينظر:- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٩٠/٨ وما بعدها .

٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ٢٤١/٧ .

٣٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٥١/٨ . محمد بن مسرور البلخي من قادة الخيرة في زمن المهتدي والمعتمد اسندت له مهمة حماية طريق خراسان ايضاً عام ٢٦١ هـ ينظر عن اخباره :- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٧/ ٥٨٧ ، ٨/ ٧٨،١٦٧ .

٣٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٥٢/٨ .

٤٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٨٧ .

٤١ - ينظر على سبيل المثال ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٨٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١١٢ .

٤٢ - الرحمومي ، محمد الشريف ، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن ٤ هـ ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣ ، ٦٧-٦٩ .

٤٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٧٢/٨ .

٤٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨/ ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ .

٤٥ - ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢هـ ، ص٢٢، المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٣٨/١٩-٣٩ ؛ ص ١٩ من مقدمة المحقق .

٤٦ - ابن دحية ، النبراس من تاريخ بني العباس ، بغداد ١٩٤٦ ، ص ٤١ .

٤٧ - ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٣٨٧ .

٤٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ٥٣/٩ .

٤٩ - ينظر مقدمة البحث ص ٥ .

❖ جعفر بن دينار احد القادة في عهد الواثق أسندت له مهمة ولاية اليمن عن أخباره ينظر :- ابن فهد ، اتحاف الورى باخبار ام القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مصر ١٩٨٣ ، ٢/ ٣٠٠ .

٥٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٧٩/٨ ، ١٨٠ ،١٨١ .

٥١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٨١/٨ .

٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ٢٤١/٧ .

٥٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٧٨/٨ .

٥٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٧٨/٨ .

٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٩٠/٨-٥٩١ .

٥٦ - الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١-٤٨٧هـ ، الرياض ١٩٨١م ، ص ١١٤ .

٥٧ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ١٥٩/٦ .

٥٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ٨٢/٩ .

٥٩ - الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله ، بيروت ١٩٧٩ م ، ١٣٩-١٤٠ .

٦٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٦٤١/٨ .

٦١ - ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٨٢ .

٦٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٩/ ٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥٩٨/٨ .

٦٣ - عريب صلة تاريخ الطبري،القاهرة،مطبعة الاستقامة،١٩٩٩م، ، ٩١ ؛ نزار عزيز ، خدمات الحج ، ص ١٢٥ .

٦٤ - الصابي ، الوزراء ، ٢٣١-٢٣٢ .

٦٥ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦/ ١٩٦ .

٦٦ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦/ ١٩٦ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأولية :

القران الكريم

◆**ابن الاثير ،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي بكر محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٨م)**

١- الكامل في التاريخ ، بيروت ، ط٩ ،٢٠٠٢م.

◆**الازرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد،(ت٢٥٠ هـ/٨٦٥م)**

٢- اخبار مكة وما جاء بها من الآثار ،تح:رشدي الصالح ملحس،مكة المكرمة ،١٩٦٥م.

◆**البكري،ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي،(ت٤٨٧ هـ/١٠٩٤م)**

٣- جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ،تح:عبد الله يونس الغنيم ،الكويت،١٩٧٧م.

◆**البيروني،ابو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠ هـ/١٠٤٨م)**

٤- تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ،أنقرة ،١٩٦٢,١٩٦٢م.

◆**الجزيري،عبد القادر بن محمد (ت٩٧٧ هـ/١٥٦٩م)**

٥- درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،القاهرة ،١٣٨٤م

◆**ابن الجوزي،ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)**

٦- المنتظم من تاريخ الملوك والأمم،الهند،١٣٥٧-١٣٥٩ هجريا

◆**الحربي،ابراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥ هـ/٨٩٨م)**

٧- كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ،تح:حمد الجاسر، الرياض ،١٩٦٩م.

◆**ابن دحيه ،ابو علي حسن بن علي الأندلسي،(ت٦٣٣ هـ/١٢٣٥م)**

٨- كتاب النبراس من تاريخ خلفاء بني العباس ،تح:عباس العزاوي،بغداد ،١٩٤٦م.

◆**ابن رسته،ابو علي احمد بن عمر،(ت٢٩٠ هـ/٩٠٣م)**

٩- الأعلاق النفيسة ،ليدن،١٨٩١م.

◆**الصابي،ابو الحسن هلال بن المحسن (ت٤٤٨ هـ/١٠٥٦م)**

١٠- رسوم دار الخلافة ،تح:ميخائيل عواد ،بغداد ،١٩٦٤م.

◆**الصولي،ابو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥ هـ/٩٤٦م)**

١١- اخبار الراضي والمتقي لله ،بيروت،ط٢,١٩٧٩م.

◆**الطبري،محمد بن جرير،(ت٣٢٠ هـ/٩٢٣م)**

١٢- تاريخ الرسل والملوك ،بيروت ،ط١,١٩٨٨م.

◆**ابن الطقطقي،محمد بن علي،(ت٧٠٩ هـ/١٣٠٩م).**

١٣- الفخري في الاداب السلطانية والدولة العربية ،بيروت ،١٩٦٦.

◆**عريب ،بن سعد القرطبي ،(ت٣٦٦ هـ/٩٧٦م).**

١٤- صلة تاريخ الطبري،القاهرة ،١٩٣٩م.

◆**ابن الفقيه ،احمد بن محمد الهمذاني،(ت ٢٨٩ هـ/٩٠١م)**

١٥- مختصر كتاب البلدان ،ليدن ،١٣٠٢م.

◆**ابن فهد ،محمد بن عمر الهاشمي،(ت٨٨٥ هـ/١٤٨٠م)**

١٦- اتحاف الورى باخبار ام القرى ،تح:فهيم محمد شتلوت ،ط١,١٩٨٢م.

◆**ابن قتيبة الدينوري ،ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦ هـ/٨٨٩م)**

١٧- الامامة والسياسة ،بيروت،ط١,٢٠٠٦م.

◆**القلقشندي،ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١ هـ/١٤١٨م)**

١٨- ماثر الاناقة في معالم الخلافة ،تح:عبد الستار احمد فراج،الكويت.

◆**المقدسي،البشارى ،شمس الدين محمد بن احمد (ت٣٨٠ ٩٩٠م)**

١٩- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،ليدن ،ط٢.

◆**المقريزي،احمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م)**

٢٠- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح:الشيال،القاهرة ،١٩٥٥م.

◆**ابن منظور،محمد بن مكرم (ت٧١١ هـ/١٣١١م).**

٢١- لسان العرب المحيط ،بيروت ،د.ت.

◆**ياقوت الحموي،شهاب الدين ابو عبد الله الحموي،(ت٦٢٦ هـ/١٢٢٩م)**

٢٢- معجم البلدان ، بيروت – دار صادر ١٣٧٤ هـ - ١٣٧٦ هـ

ثانيا :المراجع الثانوية :

* الأحمد ، سامي سعيد

٢٣- العراق القديم ،بغداد ،١٩٨٣م

❖ باقر ، طه

٢٤- مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة ،بغداد،١٩٥٦م

❖ بكر ، سيد عبد المجيد

٢٥- الملامح الجغرافية لدروب الحج ،جدة ،ط١,١٩٨٤م

❖ ذنون ، عبد الواحد

٢٦- مواقف ودراسات في التاريخ والتراث ،ليبيا ،٢٠١١م

❖ الرحمومي ، محمد الشريف

٢٧- نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري،الدار العربية للكتاب ،١٩٨٢.

❖ الزيعلي ، احمد عمر.

٢٨- مكة وعلاقتها الخارجية ٣٠١ - ٤٨٧ هجريا ،الرياض ،١٩٨١م.

ثالثا: الرسائل والاطاريح

* حبيب ، نزار عزيز

٢٩- خدمات الحجيج في العصر العباسي ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة البصره – كلية التربية.